La Comédiathèque

الحبل

جان بيير مارتينيز

comediatheque.net

يمكن تحميل نص هذه المسرحية مجانًا.
لكن أي عرض علني، احترافيًا كان أو هاويًا، يتطلب الحصول على إذن مسبق ودفع حقوق العرض المستحقة.
للحصول على معلومات حول إجراءات الترخيص وعرض أحد أعمال جان بيير مارتينيز:
https://comediatheque.net/contact-form
https://jeanpierremartinez.net/en/contact-2

الحبل

جان بيير مارتينيز
ترجمة المؤلف

في بلد يرزح تحت حكم طاغية، وبينما تتصاعد حركة الاحتجاج ويشتد القمع، يواجه طبيب وكاهن بعضهما بعضًا حول سؤال: هل يتقدم الواجب المقدس الملازم لوظيفتيهما على واجبهما كمواطنين؟ والرهان هنا ليس أقل من حياة الديكتاتور أو موته، وبالتالي بقاء النظام أو تسريع سقوطه...

الشخصيات:

الطبيب

الكاهن

© La Comédiathèque

عيادة طبيب عسكري داخل القصر الرئاسي. لا شيء يسمح بتحديد المكان أو الزمن بدقة، لكن صورة ضخمة لجنرال بالزي العسكري مثقل بالأوسمة، تتصدر الجدار فوق المكتب، تشير إلى أن الأحداث تجري في بلد يرزح تحت حكم طاغية. الطبيب، مرتدياً معطفًا أبيض، جالس خلف مكتبه. يمكن أن يكون في أي سن، لكن عمره سيؤثر بالطبع في ملامح شخصيته. يخرج صورة طبية من ملف، وينهض ليفحصها أمام ضوء نافذة متخيلة تقع ناحية الجمهور. يرن الهاتف. يعود إلى مكتبه، يعيد الصورة إلى الملف، ويرفع السماعة.

الطبيب – نعم، أيها الرقيب... نعم... حسنًا جدًا، أدخله.

يدخل كاهن بثوب كهنوتي أسود. قد يكون شابًا أو مسنًا، لكن سنه والفارق بينه وبين الطبيب سيؤثران في شخصيته وفي العلاقة بينهما.

الكاهن – سيدي النقيب...

ينهض الطبيب لاستقباله.

الطبيب – صباح الخير يا أبتِ... أم ينبغي أن أقول: سيدي الملازم؟ فأنت عسكري أيضًا.

الكاهن – زمن الرهبان المحاربين قد ولّى. أنا أولًا كاهن القصر، كما أنك، على ما أظن، طبيب قبل كل شيء. لسنا مكلّفين بالانضمام إلى الوحدات المقاتلة، أليس كذلك؟ مهمتنا أن نساند رفاقنا وأن نغيثهم عند الحاجة.

الطبيب – أخشى أننا سنكون كلانا مقاتلين سيئين للغاية.

الكاهن – يمكنني أن أناديك «دكتور» إن كنت تفضّل.

الطبيب – نادني بما تشاء يا أبتِ... ما دمت لا تناديني «يا بُنيّ».

الكاهن – سأحاول أن أتذكر ذلك.

الطبيب – على أي حال، شكرًا لأنك جئت بهذه السرعة. في الحقيقة، أنت أول من وصل. تفضل، اجلس... هل أقدم لك قهوة؟ قطعة من المعجنات؟

الكاهن – شكرًا، لا حاجة.يجلس. إذن... الأمر يتعلق بلقاح، على ما أظن.

الطبيب – آمل أنك لا تخاف من الحقن...

الكاهن – لا... لكنني أعترف لك بأنني أضعت دفتر لقاحاتي.

الطبيب – اطمئن، لم يتمكن أي مريض عندي يومًا من إظهار دفتر لقاحاته. وأنا نفسي لست متأكدًا من مكان دفتري...

الكاهن – في هذه الحال، أنا تحت تصرفك يا دكتور.

الطبيب – الجميع في القصر سيأخذون اللقاح... مع كل هذه الفيروسات المنتشرة هذه الأيام... الجنرال في صحة ممتازة، لكنه لم يعد في العشرين. وحتى إن كان نادرًا ما يغادر القصر، يجب حمايته قدر الإمكان من كل عدوى قد تأتي من الخارج. ولهذا علينا تلقيح المحيطين به مباشرة، وكل من يمكن أن يختلط به.

الكاهن – بالطبع. قديمًا كانوا يسمون ذلك «الطوق الصحي»، على ما أظن...

الطبيب – فلنأمل أن تكون هذه الطريقة أنجع في الطب منها في السياسة...

الكاهن – أصلّي من أجل الجنرال كل يوم، لكنني أدرك تمامًا أن عون العلم لا ينبغي الاستهانة به.

الطبيب – نعم... نحن نتقاسم العمل، بطريقة ما. بصفتي طبيبه الخاص، أسهر على سلامة جسده. وبصفتك كاهن اعترافه، تسهر أنت على خلاص روحه.

الكاهن – ولا أدري أيُّنا يحمل العبء الأصعب...

يبدو الطبيب متفاجئًا من هذه الملاحظة التي تنطوي على قدر خفي من التمرد، فيشجعه ذلك على البوح.

الطبيب – فعلًا، نعيش أوقاتًا صعبة. بصفتي طبيب القصر، لا أواجه مباشرة المشكلات التي يواجهها زملائي، لكنني أعلم أن الجرحى يتدفقون على المستشفى منذ أيام.

الكاهن – الاضطرابات الأخيرة خلّفت ضحايا كثيرين. وحين يعجز الطب عن فعل شيء لهؤلاء التعساء، أذهب أحيانًا لأمنحهم بعض العزاء قبل أن يسلموا أرواحهم إلى الله.

الطبيب – الاضطرابات... أو بالأحرى قمعها بلا رحمة.

الكاهن – لا يمكن أن نترك الفوضى تستفحل، أليس كذلك؟ فلنأمل أن يُعثر سريعًا على حل سلمي.

الطبيب – الأمل... هذا اختصاص الكنيسة. أما الشارع فيبدو أقرب إلى المطالبة.

الكاهن – بين الأمل والمطالبة ربما توجد مساحة للتفاوض. ألا تؤمن بإمكان انتقال ديمقراطي؟

الطبيب – انتقال ديمقراطي؟ بينما زعيم المعارضة اعتُقل للتو وأُلقي في السجن من دون حتى محاكمة صورية؟

الكاهن – لم أقل إنني أوافق على هذه الأساليب...

الطبيب – القمع يشتد يومًا بعد يوم... وما أخشاه أكثر هو اندلاع حرب أهلية. وحين تبدأ الحرب، لا يعود هناك مجال للتسوية. لا يُعقد السلام إلا بين مهزوم محكوم عليه بالاستسلام ومنتصر يفرض شروطه.

الكاهن – وإذا اندلعت حرب فلن يكون فيها إلا خاسرون... هل أنت مؤمن يا دكتور؟

الطبيب – أذهب إلى القداس مع عائلتي يوم الأحد... من أجل الأجواء... أؤمن ببعض الأشياء... ببعض

القيم...

الكاهن – هذه بداية...

الطبيب – أود أن أؤمن بإلهك أكثر يا أبتِ. لكن في هذه الأيام، لا تنقص أسباب الشك...

الكاهن – يقولون إن المرء يتعلم الحدادة بالحدادة. وأحيانًا نستعيد الإيمان بالصلاة... ولهذا للطقوس أهمية كبيرة في جميع الأديان.

الطبيب – حتى الآن كنت أذهب إلى الكنيسة أساسًا كي أشعر بأنني أنتمي إلى جماعة. لكن من يذهبون إلى القداس في بلدنا أصبحوا فصيلًا سياسيًا، ولست متأكدًا من أنني أريد البقاء جزءا منه.

الكاهن – لطالما استغلَّت السلطةُ الكنيسةَ، للأسف.

الطبيب – وبعضهم يرى الكنيسة مجرد أداة في يد السلطة.

الكاهن – لهذا يجب قبل كل شيء أن نؤمن بالله، حتى عندما نرتاب في الكنيسة.

الطبيب – وقبل الإيمان بالله، ينبغي أن نؤمن بالإنسان، في رأيي. هل تؤمن بالإنسان يا أبتِ؟

الكاهن – أؤمن بإمكان خلاصه أمام ربنا. أما الباقي فأتركه لقانون البشر.

الطبيب – فهمت... أعطِ ما لقيصر لقيصر... ثم اغسل يديك من الأمر. حتى عندما يتحول قيصر إلى طاغية؟

يبدو الكاهن غير مرتاح.

الكاهن – رسالتي أن أستمع، سيدي النقيب. وليس في طبعي أن أكون واشيًا. ومع ذلك أنصحك بالحذر. نحن في القصر، لا في كرسي الاعتراف، وهنا قد تكون للجدران آذان...

الطبيب – هيا يا أبتِ... أنت لست راهبًا. لا تعيش في دير معزول عن العالم. حين لا نفعل شيئًا فنحن نؤيد ما يحدث، وأنت تعرف ذلك جيدًا... ولك أنت أيضًا مسؤولية.

الكاهن – بالطبع... لا أحد منا يستطيع التنصل من مسؤولياته. أنا مجرد إنسان مثلك. والكهنة أيضًا لديهم خطايا يعترفون بها، كما تعلم...

الطبيب – اعترافات كاهن لا بد أنها أهون من غيرها... الغرور... الشراهة... الإغراء... أما أن تسمع اعترافات ديكتاتور دموي كل أحد قبل القداس... وأن تضطر إلى منحه الغفران عن جرائمه... فلا بد أن الأمر أصعب.

الكاهن – اسمح لي أن أحافظ في هذا الشأن على السر الذي تفرضه عليَّ وظيفتي... لكن لدي شعور بأن مسألة أكثر تحديدًا هي التي تقلقك.

الطبيب – صحيح. لم أطلب منك المجيء من أجل اللقاح فقط.

الكاهن – أنا أسمعك.

يبدو الطبيب مترددًا.

الطبيب – لا أدري إن كنت تعرف هذه القصة. عندما كان هتلر طفلًا، سقط في نهر في عز الشتاء. فقفز أحد رفاقه إلى الماء، مخاطِرًا بحياته لينقذه. وهذا الفتى الشجاع أصبح كاهنًا...

الكاهن – لم أكن أعرفها... وما العبرة التي تستخلصها منها؟

الطبيب – لو أن تلك النفس الطيبة تركت أدولف الصغير يغرق، لتغير مسار التاريخ، أليس كذلك؟

الكاهن – على الأرجح...

الطبيب – يقال إن الخير قد يولد أحيانًا من الشر. وهذا يعني أيضًا أن فعلًا خيرًا قد يفضي إلى كارثة.

الكاهن – أحيانًا، ربما.

الطبيب – ومن هنا هذا السؤال الفلسفي الذي يصلح تقريبًا موضوعًا لامتحان: هل يكون إنقاذ حياة طاغية يغرق فعلًا خيرًا حقًا؟

الكاهن – لكن في تلك القصة لم يكن سوى طفل...

الطبيب – نعم...

الكاهن – طفل لم يكن مصيره مرسومًا سلفًا بالضرورة.

الطبيب – صحيح...

الكاهن – كان يمكن لمصير ذلك الطفل أن يكون مختلفًا تمامًا لو سارت حياته لاحقًا على نحو آخر. لو لم يفشل مثلًا مرتين في امتحان القبول بأكاديمية الفنون الجميلة في فيينا، لربما أصبح رسامًا...

الطبيب – هذا احتمال.

الكاهن – وهل ستحمّل الممتحنين أيضًا مسؤولية المحرقة النازية؟

الطبيب – لا أدري...

الكاهن – في النهاية، مصير الإنسان حصيلة عدد لا يحصى من المصادفات المتعاقبة.

الطبيب – وماذا لو لم تكن كل هذه المصادفات مصادفات حقًا؟ ماذا لو لم نكن سوى نتائج مسكينة لأسباب كثيرة تحددنا؟ ماذا لو كان كل شيء مكتوبًا سلفًا؟

الكاهن – في هذه الحال، كان مكتوبًا أيضًا أن ينجو هتلر من الغرق، وأن يفشل في امتحان القبول بالفنون الجميلة. ولا يكون أحد مسؤولًا عما فعله بعد ذلك... إلا هو نفسه بالطبع.

الطبيب – إذن، في رأيك، تبقى الحتمية خاضعة للإرادة الحرة؟

الكاهن – المؤكد أن لا أحد يستطيع التنبؤ بالمستقبل بيقين. بصفتك طبيبًا، تنقذ أرواحًا، ومنها أرواح أطفال، من دون أن تعرف ماذا سيصبح هؤلاء الأطفال...

الطبيب – نعم، ولكن ماذا لو كنت أعرف؟ مجرد فرضية. لو كنت أنا من رأى أدولف الصغير يغرق، وأنا أعلم ما سيصبح عليه. وحشًا...

الكاهن – قلت لك إنها فرضية عبثية... وماذا؟ كنت ستترك ذلك الطفل يغرق؟

الطبيب – هذا هو السؤال الذي أطرحه على نفسي...يلتفت الطبيب إلى الجمهور. والذي أطرحه عليكم أيضًا...

يتجمد الكاهن كأن الزمن توقف، ويشير تغير الإضاءة إلى أن مخاطبة الجمهور و كسر الجدار الرابع تشكلان قوسًا منفصلًا عن سير العرض.

الطبيب – تخيلوا... تمشون على ضفة نهر فترون طفلًا يغرق. تعرفون أن هذا الطفل هو أدولف هتلر. هل تمدون إليه حبلًا لتخرجوه أم لا؟ لا يُطلب منكم حتى أن تخاطروا بحياتكم وتقفزوا إلى الماء. وفي المقابل يمكنكم ببساطة أن تتظاهروا بأنكم لم تروه. لا خيار بين البطولة وترك شخص في خطر بلا إغاثة، عليكم فقط أن تتخذوا قرارًا. إنه يستغيث بكم. ماذا تفعلون؟ تلقون إليه حبلًا لتنقذوه أم تتركونه يموت؟ ليس سهلًا أن تجيبوا، أليس كذلك؟

صمت قصير.

الطبيب – من يلقي إليه الحبل؟ ارفعوا أيديكم...يُترك للجمهور وقت لرفع اليد أو عدم رفعها. ومن ينظر إلى جهة أخرى ويمضي في طريقه؟ ارفعوا أيديكم...يُترك للجمهور وقت لرفع اليد أو عدم رفعها. حسنًا... والآن... لو لم يكن هتلر الصغير، بل رجلًا أو امرأة في السياسة يمكن أن يتحول إلى طاغية إذا انتُخب. لا أدري... شخصًا تعرفونه جميعًا... هل تمدون له يدكم لتنقذوه أم لا؟ ليس سهلًا، أليس كذلك؟ هل توجد إجابة مبدئية واحدة تمليها الأخلاق على هذا السؤال... أم يجب الحكم حالةً بحالة؟ وأين نضع الحد إذن؟ وبأي معايير ننقذ هذا ونترك ذاك يموت؟

تعود الإضاءة والمشهد إلى حالهما السابقة، كأن هذا الاستطراد لم يحدث، وتستأنف الأحداث من حيث توقفت.

الكاهن – أشعر بأن أسئلتك ليست نظرية فقط.

الطبيب – أحتاج إلى نصيحة، فعلًا. لكنك قلتها: لسنا في كرسي اعتراف...

الكاهن – إذا رغبت، يمكنني سماع اعترافك.

الطبيب – وعندئذ لن تستطيع أن تكشف لأحد ما أقوله لك؟

الكاهن – هذا هو مبدأ سر الاعتراف. مثل السر الطبي تمامًا.

الطبيب – اعذرني، لكن في هذه الظروف لا أرى نفسي أنتظر دوري في طابور الاعتراف.

الكاهن – يستطيع الكاهن سماع الاعتراف في أي مكان.

الطبيب – هنا؟ والآن؟

الكاهن – بصفتي كاهن هذا القصر، أنا في خدمتك.

الطبيب – حسنًا، إذن أريد أن أعترف يا أبتِ...

ينتقل الكاهن من وضع الحديث العادي إلى وضع سماع الاعتراف، ويرسم إشارة الصليب.

الكاهن – فلنصلِّ معًا كي يمنحنا الله نعمة الاعتراف بخطايانا.

الطبيب – آمين...

الكاهن – أنا أسمعك يا بُنيّ.

الطبيب – لدي مسألة ضمير أريد أن أعرضها عليك يا أبتِ.

الكاهن – سأبذل ما أستطيع لأرشدك، وفق مبادئ ربنا.

الطبيب – فحصت الجنرال قبل بضعة أسابيع. فحصًا روتينيًا. واكتشفت لديه خللًا في القلب... أكدته فحوص أخرى بعد ذلك.

الكاهن – خلل...؟

الطبيب – أمّ دم في الشريان الأبهر البطني، على وجه الدقة... نعم، حتى الديكتاتوريون لديهم قلب، كما تعلم...

الكاهن – هذا مقلق فعلًا... وخطير، على ما أظن؟

الطبيب – نعم.

الكاهن – لكن يمكن علاجه؟

الطبيب – بالجراحة وبالعلاج المناسب، نعم. إذا اكتُشف في الوقت المناسب.

الكاهن – فأين المعضلة بالنسبة إليك؟

الطبيب – إذا أبلغت أحد زملائي بهذا الخلل، سيُعالج الجنرال وسيعيش سنوات أخرى...

الكاهن – و...؟

الطبيب – وإذا لم أبلّغ عنه، فسيموت خلال الأسابيع المقبلة. ربما غدًا. وعلى الأرجح لن يبقى النظام الديكتاتوري بعده...

يبقى الكاهن لحظة عاجزًا عن الكلام.

الكاهن – لا يمكن أن تكون جادًا في التفكير بهذا...

الطبيب – إنها فرصة فريدة لتغيير مجرى التاريخ، أليس كذلك؟ لإسقاط هذا النظام وإنقاذ أرواح المعارضين الذين يُعدمون كل يوم في ساحات السجون، أو يسقطون برصاص الشرطة وهم يتظاهرون في الشوارع. كنت تتحدث قبل قليل عن إمكان انتقال ديمقراطي...

الكاهن – بأن تحكم بالموت على مريض وضع حياته بين يديك؟

الطبيب – لإنقاذ عدد أكبر بكثير، نعم. لماذا لا نعتبر ذلك عملًا من أعمال المقاومة؟

الكاهن – لأنك قبل أن تكون مواطنًا ملتزمًا، أنت طبيب! وأنت مقيَّد بقَسَم أبقراط!

الطبيب مقتبسًا من قسم أبقراط – لن أتسبب عمدًا في الموت.Primum non nocere...

الكاهن – أولًا، لا تُلحِق الضرر...

الطبيب – لهذا بالضبط قلت إنها مسألة ضمير. عليَّ اليوم أن أختار بين أمرين متناقضين. الطبيب في داخلي يأمرني ألا أرى سوى المريض وأن أعالجه. والمواطن في داخلي يطلب مني أن أرى جرائم هذا الرجل وأن أتركه يموت كي أمنعه من ارتكاب جرائم أخرى.

الكاهن – نسيت العسكري، الذي عليه أن يطيع الأوامر.

الطبيب – يطيع الأوامر... لو كان هذا عذرًا كافيًا لحرج الجميع أبرياء من محاكمات نورمبرغ. كلهم كانوا يقولون إنهم اكتفوا بطاعة قائدهم...

الكاهن – طلبت نصيحتي، أليس كذلك؟

الطبيب – لم أتعهد باتباعها... لكنني أسمعك.

الكاهن – ليفعل الطبيب واجبه ويحترم قسمه. وبعد ذلك للعسكري أن يرفض أوامر يراها مخزية، وللمواطن أن يثور وأن يقوم بأعمال مقاومة إذا لزم الأمر.

الطبيب – لكن العسكري والمواطن اليوم عاجزان أمام جهاز قمعي بالغ الفاعلية. وحده الطبيب يملك القدرة على وضع حد للديكتاتورية، بتعجيل موت الديكتاتور.

الكاهن – بصفتك طبيبًا، تمنح نفسك سلطة الحياة والموت على مرضاك؟ هل تعتبر نفسك إلهًا؟

الطبيب – ما دام إلهك يسمح لطاغية بالبقاء في مكانه، فلا بد أن يتدخل البشر لإنزاله عن عرشه.

الكاهن – لكنك بصفتك طبيبًا تحمل وظيفة مقدسة، مثلي. لكل إنسان الحق في العلاج مهما كانت أفعاله السابقة، كما أن لكل متهم الحق في الدفاع عنه مهما كانت جرائمه.

الطبيب بسخرية – ولكل خاطئ الحق في الغفران مهما بلغت فداحة خطاياه، أليس كذلك؟

الكاهن – إذا تاب بصدق، نعم.

الطبيب – هل قال لك الجنرال في الاعتراف إنه نادم على جرائمه؟

الكاهن – هذا أيضًا يدخل في السر المفروض على من يسمع الاعتراف.

الطبيب – إن كان نادمًا، فهذا لا يمنعه على أي حال من مواصلة قتل جميع معارضيه بلا عقاب. وبصفتك مرشده الروحي، إن سمحت لي، لا يبدو أن لك تأثيرًا كبيرًا عليه.

الكاهن – الطغاة، مثلك، مقتنعون بأنهم يعملون لمصلحة الشعب. يزعمون أنهم يتصرفون وفق إيمانهم، وغالبًا ما يقدمون أنفسهم حماةً للدين...

الطبيب – لا تبدو مقتنعًا بذلك.

الكاهن – ليس لي أن أحكم... أنا أؤمن بالتوبة والغفران، وقد اخترت خدمة الله.

الطبيب – وأنا اخترت خدمة البشر.

الكاهن – نعم. كل البشر بلا استثناء. الأطباء والكهنة والمحامون... نحن من القلائل الذين يستطيع حتى أسوأ الناس أن يضع فيهم ثقة مطلقة. هذا هو التزامنا. إنها مهمة شاقة وناكرة للجميل، لكنها أساسية. نحن الحاجز الأخير في وجه الهمجية، والملاذ الأخير لمن أدانهم الجميع، بينما لا تزال فيهم شرارة من الإنسانية.

الطبيب – صحيح، لكن بينما نتفلسف هنا، يموت مواطنون بالرصاص أو تحت التعذيب.

الكاهن – أتريد إنقاذ الإنسانية بالحنث بالقسم وبالقتل؟ تريد إنهاء الطغيان باستخدام أساليب الطاغية؟ وبخيانة القسم الذي أقسمته رسميًا أمام زملائك؟

الطبيب – قلت لك. القرار ليس سهلًا...

يتجمد الكاهن وتتغير الإضاءة لاستطراد جديد مع الجمهور.

الطبيب إلى الجمهور – لو كنتم أطباء، ماذا كنتم ستفعلون مكاني في موقف كهذا؟يمسك الملف من على مكتبه ويريه للجمهور. من يسلّم الملف إلى طبيب آخر لإنقاذ حياة هذا الجنرال؟ ارفعوا أيديكم!يُترك الوقت اللازم ليرفع بعض الجمهور أيديهم. ومن يضع الملف في درج ويترك هذا الطاغية يموت؟ ارفعوا أيديكم!يُترك الوقت اللازم ليرفع بعض الجمهور أيديهم. لكنكم لستم أطباء، أليس كذلك؟

تعود الإضاءة إلى طبيعتها وتستأنف الأحداث.

الكاهن – هل تؤيد عقوبة الإعدام يا دكتور؟

الطبيب – لا... في الظروف العادية، لا.

الكاهن – إما أن نكون مع عقوبة الإعدام أو ضدها. لا مجال للاستثناءات، وإلا فلن يبقى قريبًا سوى الاستثناءات. الحياة مقدسة. وحتى في البلدان العلمانية، أُلغيت عقوبة الإعدام باسم هذا المبدأ... كي لا ننكر نهائيًا إنسانية حتى أسوأ المجرمين... وكي نؤكد، رغم كل شيء، إمكان الخلاص ولو كان ضئيلًا جدًا.

الطبيب – أنا مع حق الإجهاض، ومع القتل الرحيم في بعض الحالات. وقد يحدث لي، بصفتي طبيبًا، أن أضطر إلى إنهاء حياة، وبالتالي إلى مخالفة قسم أبقراط. لكن دعني أرد عليك السؤال: هل تؤيد احترام الحياة في كل الظروف؟

الكاهن – بصفتي كاهنًا، نعم.

الطبيب – إذن أنت ضد الإجهاض حتى في حالة الاغتصاب، أو إذا كان الحمل يهدد حياة الأم؟ وأنت أيضًا ضد إنهاء الآلام التي لا تُحتمل لشخص لم يعد الطب قادرًا على مساعدته.

الكاهن – بصفتي إنسانًا، لا يمكن أن أبقى غير مبالٍ أمام المعاناة البشرية...

الطبيب – إذن أنت أيضًا تضع الإنسان أحيانًا قبل الكاهن، كي تجيب عن الأسئلة الصعبة التي يطرحها الواقع، بدلًا من الاحتماء بمبادئ أخلاقية كبرى قد تقود أحيانًا إلى قرارات غير إنسانية.

الكاهن – بصفتي كاهنًا، لا أملك حق انتزاع حياة أحد... لكن لو اعترف لي طبيب بأنه فعل ذلك في ظروف استثنائية جدًا، وكان نادمًا بصدق، لمنحته الغفران.

الطبيب – في هذه الحال، يكفيني أن أعترف لك بعد موت الجنرال، كي أريح ضميري وضميرك.

الكاهن – إذن اتخذت قرارك...

الطبيب – بما أنك، فوق ذلك، تتعهد بأن تمنحني الغفران.

الكاهن – أنت تنوي أن تترك إنسانًا يموت عمدًا. لا أستطيع أن أمنحك الغفران مسبقًا.

الطبيب – الجنرال مسن أصلًا... لن أفعل سوى تقديم موته بضعة أشهر. بضعة أيام ربما... لا يمكن أن

نسمي ذلك اغتيالًا حقًا... لنقل إنني أتجنب علاجًا مفرطًا بلا جدوى.

الكاهن – أنت تتلاعب بالكلمات. لكنني لا أستطيع أن أتركك ترتكب فظاعة كهذه.

الطبيب – أتذهب إلى حد الوشاية بي؟

الكاهن – هذا واجبي.

الطبيب – أذكرك بأنك ملتزم بسر الاعتراف!

الكاهن – صحيح، لكن توجد استثناءات من واجب السرية... عندما تكون حياة إنسان في خطر، على وجه الخصوص.

الطبيب – ائتمنتك على سري... والآن تقول إن سر الاعتراف ليس مبدأ مطلقًا... مع أن الكنيسة في الماضي التزمت الصمت أمام جرائم أشد بشاعة...

الكاهن – إذا كشف لي رجل أنه ينوي قتل آخر، أو ارتكاب اعتداء، فعليَّ إبلاغ العدالة. حتى وفق قانون البشر، هذا واجبي المطلق. وإلا عُدَّ ذلك امتناعًا عن إغاثة شخص في خطر... والمحامي، إذا علم أن موكله يخطط لجريمة قتل، ملزم بإبلاغ الشرطة. والطبيب أيضًا، وأنت تعرف ذلك جيدًا.

الطبيب – لكنني لن أقتل أحدًا. سأترك الطبيعة تفعل ما تفعله... أو الله، بطريقة ما.

الكاهن – تستدعي الله حين يناسبك الأمر، مع أنك لا تؤمن به.

الطبيب – إذن ستخون أنت أيضًا قسمك؟

الكاهن – قلت لك، المسألة تتعلق بإنقاذ حياة. وفي هذه الحالة لا يقيدني أي قسم.

الطبيب – حتى لو كان إبلاغ شرطة هذا النظام الشمولي عني يعني الحكم عليَّ بالموت حتمًا؟

الكاهن – يكفي أن تؤدي واجبك كطبيب كي تتجنب ذلك الحكم...

الطبيب – سأؤدي واجبي كمواطن.

الكاهن – إذن لا تترك لي خيارًا...

الطبيب – هل أنت متأكد من أن من سيبلغ عني هو الكاهن، لا الضابط؟

الكاهن – أنا كاهن قبل أن أكون ضابطًا. لكنني إنسان قبل أن أكون كاهنًا. والإنسان الذي أنا عليه لن يسمح لك بانتزاع حياة أحد من بني جنسك.

يرن الهاتف. يرفع الطبيب السماعة.

الطبيب – نعم، أيها الرقيب؟ أنا أسمعك... حسنًا... جيد... سآتي في أسرع وقت ممكن...يغلق الهاتف. لقد عُثر للتو على زعيم المعارضة مشنوقًا في زنزانته...

يتلقى الكاهن الخبر بصدمة.

الكاهن – هذا مروّع...

الطبيب – يطلبون مني معاينة الوفاة والتصديق رسميًا على أنها انتحار. أرأيت يا أبتِ؟ الجنرال لا يكلّف نفسه عناء السرية حين يقتل معارضيه. يفعل ذلك في وضح النهار. وأنا، بصفتي طبيبًا شرعيًا، مطالب بأن ألبس هذه الاغتيالات ثوب الانتحار.

الكاهن – هذا عار... وهل ستشارك في هذه المهزلة؟

الطبيب – منذ قليل كنت تريدني أن أكتفي بطاعة الأوامر!

الكاهن – أتفق معك في هذه النقطة. حين تكون الأوامر غير مشروعة، يصبح عصيانها واجبًا.

الطبيب – قلت لك كيف يمكنني أن أضع حدًا بلا ألم لهذا التصاعد في العنف...

يتجمد المشهد وتتغير الإضاءة لاستطراد جديد.

الكاهن إلى الجمهور – بما أنني لا أستطيع الاكتفاء بترك الأمر لله، أحتاج إلى مساعدتكم... افترضوا أنكم كهنة. ماذا كنتم ستفعلون مكاني؟ من منكم يبلغ عن هذا الطبيب بعد أن سمع اعترافه، كي يحافظ على حياة رجل هو في الوقت نفسه طاغية لا يرحم؟ ارفعوا أيديكم.يتُرك لبعض المتفرجين وقت لرفع أيديهم. ومن يلتزم الصمت ويترك هذا الطبيب يرتكب جريمة بامتناعه عن علاج مريضه؟ ارفعوا أيديكم.يتُرك لبعض المتفرجين وقت لرفع أيديهم. لكنكم لستم كهنة، أليس كذلك؟

تعود الإضاءة إلى طبيعتها وتستأنف الأحداث.

الكاهن – أعترف لك أنني عاجز أمام كل هذا العنف...

الطبيب – إذا تكلمت، سيكون موتي على ضميرك... رأيت كيف يعامل الجنرال معارضيه. سيجدونني أنا أيضًا مشنوقًا في زنزانتي... هل ستبلغ عني حقًا؟

الكاهن – ليس إذا منعتني...

الطبيب – أمنعك؟ كيف؟

الكاهن – بأن تقتلني أنا أيضًا...

الطبيب – أهذا ما تريده؟

الكاهن – أترك لك حرية الاختيار.

الطبيب – كي تتجنب أن تختار بنفسك... من تظن نفسك يا أبتِ، وأنت تقدم نفسك قربانًا هكذا؟ يسوع المسيح؟ لكن تضحيتك لن يكون لها أي معنى... ولن تفيد أحدًا!

الكاهن – ضحّى يسوع بنفسه ليمنح البشر إمكان المصالحة. وهذا هو أحد معاني الدين: أن يربط المؤمنين بعضهم ببعض. وهذا أيضًا معنى الإفخارستيا: الشركة بين البشر جميعًا...

لحظة تردد. يبدو الطبيب كأنه نفدت حججه.

الطبيب – في هذه الحال... انتهى القداس يا أبتِ... وحان وقت الحقنة.

الكاهن – أنا مستعد.

يحضّر الطبيب الحقنة تحت نظر الكاهن.

الطبيب – اطمئن، لن تؤلم. لن تشعر بشيء تقريبًا...

الكاهن – أسلّم نفسي لك تمامًا... مثل سائر مرضاك.

يعطيه الطبيب الحقنة.

الطبيب – ألا تزال لا تريد أن تشرب شيئًا؟

الكاهن – أقبل بكأس ماء.

الطبيب – سأحضره لك...

يخرج الطبيب. يرى الكاهن الملف فوق المكتب. يأخذه لكنه لا يفتحه. يعود الطبيب ومعه كأس ماء.

الطبيب – آه... حذار يا أبتِ، السر الطبي...

الكاهن – على أي حال، لن أكون قادرًا على تفسير هذه الصور...

يمد الطبيب كأس الماء إلى الكاهن فيأخذه.

الطبيب – هذا كأس الماء.

الكاهن – كأس المحكوم عليه...؟

الطبيب – هل أنت مستعد حقًا للتضحية بنفسك هربًا من مسؤولياتك؟

الكاهن – هربًا من مسؤولياتي، لا. لكن كي لا أضطر إلى خيانة قناعاتي، ربما.

الطبيب – أليس هذا طريقة للهروب من الواقع كي لا تضطر إلى مواجهته؟ أتساءل إن كان الأفضل لك أن تصبح راهبًا في النهاية.

الكاهن – كان ذلك أسهل، على الأرجح.

الطبيب – وكل هذا لإنقاذ رجل ارتكب جرائم ضد الإنسانية.

الكاهن – الله سيتولى محاكمته. أو عدالة البشر.

الطبيب – حاليًا هو العدالة نفسها... ويدّعي أنه يقيمها باسم الله.

الكاهن – أنا لا أؤيد محاكم التفتيش الجديدة هذه، صدقني.

الطبيب – لكنك لم تفعل شيئًا لمعارضتها... بعد سقوط النظام قد يُطلب منك الشهادة، كما تعلم. رغم سر الاعتراف... وقد يتهمونك بالتعاون مع النظام.

الكاهن – نعم... وأنت أيضًا. أنت الطبيب الخاص للجنرال، وحتى الآن لا تُعرف بأنك من أشد معارضيه... ألست تريد مغادرة السفينة قبل غرقها مباشرة لتضمن لنفسك مستقبلًا هادئًا... بعد أن تكون قد تركت القبطان يغرق؟

الطبيب – لن أستطيع حتى الادعاء أنني مقاوم انضم في اللحظة الأخيرة، للأسف. سأكون قد عجّلت بنهاية الطاغية، لكن بما أنني سأكون قد خنت بذلك قسم الطبيب، فلن أستطيع التباهي بهذا العمل.

الكاهن – يمكنك أن تغتاله علنًا. بطلقة مسدس. أنت ضابط، لديك سلاح، والجنرال يأتي إليك بانتظام للفحص.

الطبيب – أخشى أنني لن أكون بطلًا أبدًا. لن أكون بروتوس الذي طعن قيصر أمام مجلس الشيوخ. لن أملك تلك الشجاعة. بخلافك، لا أميل إلى التضحية. أنا جبان فحسب، فعلًا.

الكاهن – ولهذا يناسبك هذا الاغتيال في الخفاء، أليس كذلك؟

الطبيب – الجريمة بلا عقاب... ولكن بلا مجد بعد الموت أيضًا.

الكاهن – أما «بلا عقاب» فليس مؤكدًا. قد لا تعدمك الديكتاتورية بتهمة قتل الجنرال، لكن المحررين قد يدينونك بالتعاون مع النظام. مثلي...

الطبيب – أرأيت؟ لا توجد لي أنا أيضًا أي حلول جيدة. ثم إنك محق. سأستحق ذلك في النهاية. في البداية أيدت الانقلاب، هربًا من الفوضى. ظننت أن عودة النظام خير. لكن حين يفرض الأقوياء النظام على الضعفاء، سرعان ما يصبح النظام فوضى جديدة.

الكاهن – للأسف، النظام والفوضى كلاهما تحكمهما شريعة الأقوى.

الطبيب – فماذا نفعل إذن؟

الكاهن – مصير الإنسان أن يسير بلا خريطة في صحراء بلا طريق، باحثًا عن واحة لا وجود لها. ولهذا من الأفضل أن يصطحب الإيمان في الرحلة...

يخرج الطبيب الصورة الطبية من الملف.

الطبيب – أو يستعين بنور العلم... هل تعرف ما هو علم العلامات، يا أبتِ؟

الكاهن – هو دراسة العلامات. الإيمان لا يمنع الاهتمام بالعلم يا دكتور. والعكس صحيح أيضًا: بين أعظم العلماء مؤمنون.

الطبيب – في الطب، علم العلامات والأعراض هو دراسة الأعراض التي تسمح بالتشخيص ومن ثم وصف العلاج. في النهاية، الأطباء ورثة العرّافين القدماء الذين زعموا قراءة المستقبل في أحشاء الحيوانات.

الكاهن – في روما القديمة، كان «الهاروسبيس» هم الذين يقرأون الأحشاء في الحيوانات المذبوحة، أما «الأوغور» فكانوا يفسرون طيران الطيور...

الطبيب – على أي حال، هؤلاء العرّافون أسلافكم أنتم أيضًا، أليس كذلك؟

الكاهن – نعم. كنا نمارس المهنة نفسها قديمًا، أنت وأنا. لم تنفصل طرق العلم والدين إلا في زمن قريب نسبيًا. أحيانًا للأفضل، وأحيانًا للأسوأ...

يخرج الطبيب الصورة الطبية وينظر إليها.

الطبيب – قراءة العلامات... في النهاية، الطب ليس علمًا دقيقًا تمامًا حتى الآن... ربما أكون قد أخطأت بكل بساطة... وفي نظر الجميع لن يكون الأمر إلا خطأ طبيًا...

الكاهن – لكنك أنت ستعرف أنك تركت أحد مرضاك يموت عمدًا.

الطبيب – سأفكر في كل من أنقذت حياتهم.

الكاهن – مثل العرّافين الذين تحدثت عنهم، تظن أنك تعرف المستقبل وأنك قادر وحدك على التأثير في مجرى التاريخ؟

الطبيب – يمكنني أن أحاول على الأقل...

الكاهن – وكيف تضمن أن سقوط الديكتاتور لن يعقبه حمام دم؟ أو حرب أهلية؟ أو تطهير واسع؟ قد تنجب هذه الديكتاتورية ديكتاتورية أخرى أشد دموية. التاريخ أرانا أن الثورة قد يعقبها عهد من الإرهاب.

الطبيب – إذن ماذا؟ ألا نفعل شيئًا؟ ألا نقاوم؟ حتى حين يكون المرء جبانًا ويملك وسيلة للمقاومة من دون

أن يخاطر بأي شيء؟

الكاهن – لا أدري...

الطبيب – وأنت؟ ألا يؤنبك ضميرك أبدًا؟

الكاهن – بلى... لكنني أؤمن بالكلمة التي نعطيها. بالقسم الذي أقسمناه كلانا. كل منا بطريقته نذر نذرًا. يجب أن نفي بكلمتنا مهما حدث، وإلا فلن يبقى شيء ثابتًا. حتى القانون قد يكون ظالمًا أحيانًا في تطبيقه. لكن إذا لم يعد هناك قانون، فلا حضارة. وإذا لم يعد هناك إيمان بالكلمة المقطوعة، فلا إنسانية...

الطبيب – والكلمة قد تكون سلاحًا أيضًا. الديكتاتور هو من «يملي»؛ يملي قانونه الخاص. قانون الأقوى.

الكاهن – ومن يصدر حكمًا بالموت من تلقاء نفسه، متحديًا القانون؟ ألا يصبح هو أيضًا ديكتاتورًا محتملًا؟

الطبيب – القوانين وُضعت لتُفسَّر. هناك لحظات في الحياة قد يكون فيها موت إنسان أقل الحلول سوءًا.

الكاهن – ربما اليوم. لكن حين نضع يدنا في هذه الآلة، هل نضمن ألا تسحقنا في النهاية بالكامل؟ ألا يجب على كل منا، في لحظة ما، أن يقرر قطع دائرة العنف هذه؟

الطبيب – إذن أنت أيضًا، مثل ذلك الكاهن المستقبلي، كنت ستنقذ هتلر من الغرق.

الكاهن – كنت سأنقذ طفلًا. لم أكن سأدينه مسبقًا. وإلا لوجب أن نسجن كل المتطرفين دينيًا احترازيًا لأنهم قد يصبحون إرهابيين، وأن نسجن كل المؤمنين لأنهم قد يصبحون متطرفين. وبذلك لن يطول الأمر بمن يحكموننا قبل أن يلقوا في السجن كل من لا يفكر مثلهم تمامًا...

الطبيب – وهذا ما يحدث بالفعل في هذه الديكتاتورية التي تشبه حكمًا دينيًا!

الكاهن – صحيح. ولهذا يجب على من سيسقطونها أن يتجنبوا بأي ثمن إعادة إنتاج هذا النموذج القاتل.

الطبيب – قلت بنفسك قبل قليل: إذا عرفنا أن رجلًا سيقوم باعتداء، ألا يجب إيقافه؟

الكاهن – لكننا لا نستطيع أن نعرف أبدًا...

الطبيب – لا يمكن أن نتيقن أبدًا، أوافقك... لكن علينا أحيانًا أن ندافع عن أنفسنا قبل أن نتعرض للهجوم. ليس مؤكدًا أنك ستصاب يومًا بفيروس، ومع ذلك تقبل أن تتلقى لقاحًا.

الكاهن – لا يمكنك أن تشبّه أسوأنا بفيروسات خبيثة ينبغي التخلص منها مسبقًا، فتسلبهم بذلك كل إنسانية. الشر موجود أولًا في داخل كل منا. علينا أن نحاربه في أنفسنا قبل أن نحاربه في الآخرين.

الطبيب – سأهتم بجانبي المظلم. لكن ذلك لن يوقف يد القاتل المستعد للضرب.

الكاهن – توجد اليوم نماذج تحاول التنبؤ بمن سيصبح مجرمًا. ويقال لنا إنها موثوقة بنسبة تقارب مئة في المئة.

فهل ينبغي سجن هؤلاء الناس وقائيًا؟

الطبيب – نحن نحجز أصلًا المصابين باضطرابات خطرة عندما يشكلون خطرًا على الآخرين.

الكاهن – لأنهم لا يملكون إرادة حرة كاملة...

الطبيب – ويمكن أيضًا إنهاء حمل لأن فحصًا أظهر أن الطفل سيولد بمتلازمة داون.

الكاهن – وهذا يطرح قضية تحسين النسل عمومًا... هل ينبغي التخلص عند الولادة من كل من يحمل جينًا لمرض؟ حتى لا يكون عبئًا على نفسه وعلى المجتمع؟

الطبيب – في تحسين النسل، لا نتحدث عن مجرمين.

الكاهن – بعضهم ادعى التعرف إلى «كروموسوم الجريمة»... والعلم الحديث يعيدنا على نحو غريب إلى فراسة الجمجمة في القرن التاسع عشر، ذلك العلم الزائف الذي زعم اكتشاف العيوب الخِلقية من شكل الجمجمة... ولسنا بعيدين عن أوهام علماء النازية الزائفة التي قادت إلى الإبادة الجماعية، في مشروع مشؤوم لصنع «عرق متفوق». أليس مستوى الحضارة يُقاس بالأحرى بالطريقة التي يُعامل بها الأضعف؟

الطبيب – لكن الأمر الآن يتعلق أساسًا بالمصير الذي ينبغي أن نخصصه للرجل القوي في هذا النظام. هل تعتقد حقًا أن الجنرال لا يزال قادرًا على إصلاح نفسه؟ وما مدى صدق توبته أصلًا، بينما هدير الحشود يصل إلى أبواب القصر الرئاسي؟

الكاهن – محاكم البشر هي التي ستحكم في ذلك، بطرح سؤال مسؤوليته. ما مقدار حريتنا أمام الحتمية؟ هذا هو السؤال... إذا كان مصيرنا مختومًا منذ الولادة، فلن نعود بشرًا، بل آلات مبرمجة مسبقًا. لا أستطيع أن أقبل العيش في عالم كهذا... إذا كنت ترى أن بعض الناس مبرمجون لفعل الشر، كما أن آخرين مبرمجون لفعل الخير، فلن تبقى حرية ولا مسؤولية ولا إمكان للخلاص. وعندئذ يكفي أن نفرز، بالعلم، القمح الجيد من الزؤان إلى أن نستأصل جميع «الأعشاب الضارة». ألن نكون عندئذ في مجتمع شمولي؟

الطبيب – أؤمن بالحرية، لكنها ليست مطلقة... نحن أحرار بدرجات مختلفة في الإجابة عن السؤال، أما السؤال نفسه فيُفرض علينا. خذ أسرة كثيرة الأبناء. على كل طفل أن يحدد موقفه من السياق نفسه، وكل واحد يقدم إجابة مختلفة بحسب ما هو عليه وبحسب اختياراته.

الكاهن – نعم... من كان ضحية للعنف قد يصبح عنيفًا بدوره، وقد لا يصبح. في هذه النقطة يحدد الإنسان موقفه، صحيح. لكنني أريد أن أؤمن بما يسمى اليوم «القدرة على التعافي والصمود».

الطبيب – بالضبط. نحدد موقفنا وفق السياق المفروض علينا ووفق ما نحن عليه. لكن هل نختار حقًا ما نحن عليه؟

الكاهن – أتعتقد أن الجنرال كان مقدرًا له أن يصبح ديكتاتورًا؟ وأنه لم يكن يملك خيارًا؟ وتستنتج من ذلك

أنه كان ينبغي التخلص منه عند ولادته؟ كما مع هتلر الصغير، كان ينبغي إغراقه؟

الطبيب – لا أدري... أظن خصوصًا أن هذا الجدل الفلسفي عقيم قليلًا... بينما تحت نوافذنا يقاتل الناس لتغيير مجرى التاريخ.

صمت يُسمع خلاله هدير الشارع ورشقات أسلحة آلية.

الكاهن – في الوقت الحاضر، للأسف، لا نملك، بصفتي كاهنًا وبصفتك طبيبًا، إلا أن ننتظر عاجزين لنرى ما ستؤول إليه هذه المواجهة. بالمناسبة... ما الذي دفعك إلى أن تصبح طبيبًا؟

الطبيب – كان أبي جرّاحًا. أحد إخوتي اختصاصي أشعة والآخر طبيب أسنان. لدي وراثة ثقيلة. وأنت؟ أتصور أن أباك لم يكن راهبًا.

الكاهن – كان أبي جزارًا... لم يكن مؤمنًا، ولم يوافق على اختياري أن أصبح كاهنًا.

الطبيب – لا بد أنه خاب أمله لأنه لم يجد من يتولى محل الجزارة العائلي...

الكاهن – ابنٌ كاهن... أظن أنه كان يفضل لو أخبرته أنني مثليّ.

الطبيب – هل أنت الابن الوحيد؟

الكاهن – لدي أربع أخوات. ولا واحدة منهن دخلت الدير، أؤكد لك...

الطبيب – أربع أخوات... وأنت الوحيد الذي اخترت أن ترتدي الثوب الطويل.

الكاهن – هل لديك أبناء، سيدي النقيب؟

الطبيب – لدي ابن.

الكاهن – لو كان ابنك مجرمًا وجاء إليك جريحًا طالبًا العلاج، هل كنت ستتركه يموت؟

الطبيب – على الأرجح لا.

الكاهن – حين أصبحت كاهنًا، قررت، مثل ربنا، أن أعتبر جميع البشر أبنائي. لذلك ستفهم أنني لا أستطيع قبول موت واحد منهم، حتى لو كان أسوأهم.

الطبيب – ابني أشجع مني. إنه الآن على المتاريس. يمكن أن يُقتل في أي لحظة. ومن أجله أيضًا أريد إنهاء هذا النظام، وهذا الطاغية، بأسرع ما يمكن.

الكاهن – لكن لا شيء قد كُتب بعد. الأسوأ ليس مؤكدًا أبدًا.

الطبيب – أخشى أنه أصبح أكثر من مجرد احتمال، للأسف.

صمت. ضجيج جديد في الخارج.

الكاهن – من ناحية ما، أشفق عليك... لا بد أن العيش في عالم تحدَّد فيه حياة كل إنسان مسبقًا أمر محزن جدًا.

الطبيب – مع أن الحتمية بالنسبة إلى المجرمين عذر ممتاز للتنصل من المسؤولية. هل تعرف هذه القصة الأخرى؟ يرى رجل ثعبانًا عالقًا تحت حجر. يتوسل إليه الثعبان أن يحرره، ويعده ألا يلدغه. يرفع الرجل الحجر، فيلدغه الثعبان. ثم يعتذر الثعبان للرجل المحتضر، موضحًا أن القتل في طبيعته.

الكاهن – إذن من طبيعتي أنا أيضًا ألا أسمح لك بارتكاب هذه الجريمة.

الطبيب – حتى لو أبلغت عني وحكمت عليَّ بذلك بالموت حتمًا؟

الكاهن – إذا لم تترك لي خيارًا.

الطبيب – لن تفعلها.

الكاهن – لأنك بدل أن تحقنني بلقاح، حقنتني بسم، مثل ذلك الثعبان الذي تحدثت عنه؟

الطبيب – أتظن أن هذا ما فعلته؟

الكاهن – كان يمكنك أن تترك الجنرال يموت من دون أن تخبرني في الاعتراف... كان قرارك قد اتُخذ أصلًا، أليس كذلك؟ فلماذا اعترفت لي بهذه الجريمة المقبلة؟

الطبيب – لأنني كنت أحتاج ربما إلى من يشجعني... قلت لك إنني جبان. كنت أحتاج إلى بركتك...

الكاهن – إذا كنت قد حقنتني فعلًا بسم، فاعلم أنني أسامحك... وستوفر عليَّ أيضًا معضلة ضمير...

الطبيب – هذا ما كنت تريده، أليس كذلك؟

الكاهن – سأصلي من أجلك في ما تبقى لي من وقت...

الطبيب – ستكون ربما المرة الأولى في التاريخ التي يُقتل فيها كاهن أثناء اعتراف، ثم يمنح قاتله الغفران في اللحظة نفسها.

الكاهن – يؤسفني مع ذلك أنني لم أستطع إقناعك...

صمت.

الطبيب – نلقي حبلًا إلى طاغية يغرق أم لا؟ ربما لنشنقه به...

يرن الهاتف. يجيب الطبيب.

الطبيب – نعم، أيها الرقيب... نعم... متى؟ هذا مروّع فعلًا... أفهم... حسنًا...يغلق الهاتف. لقد توفي الجنرال لتوه إثر نوبة قلبية...

الكاهن – يا إله السماء...

الطبيب – تعرف أن الله لا علاقة كبيرة له بهذا...

الكاهن – لكن الآن، بعد أن وقع ذنبك، يمكنني أن أمنحك الغفران...

الطبيب – حقًا؟

الكاهن – إذا كنت نادمًا بصدق.

الطبيب – على أي حال، لا أشعر بأي فخر بما حدث.

الكاهن – أكتفي بذلك... ليمنحك الله، أبو المراحم، الذي صالح العالم مع نفسه بموت ابنه وقيامته، المغفرة والسلام. باسم الآب والابن والروح القدس، أغفر لك خطاياك التي اعترفت بها، وأعيدك إلى شركة الكنيسة. الرب معك.

الطبيب – وهل ستمنحني الغفران أيضًا لأنني قتلتك؟

الكاهن – لقد سامحتك بالفعل. لكن كي أمنحك الحلّ من الخطيئة، يجب أن تكون الجريمة قد وقعت فعلًا، وأن أكون أنا قد مت. وهذا يبدو صعبًا بعض الشيء... سيكون عليك أن تجد كاهن اعتراف آخر.

الطبيب – فهمت...

الكاهن – لكنك لم تسممني حقًا، أليس كذلك؟

الطبيب – وأنت؟ هل كنت ستبلغ عني حقًا؟

الكاهن – من يدري...

الطبيب – على أي حال، لن تموت بمرض معدٍ... لقد تلقيت اللقاح لبضع سنوات.

ينهض الكاهن استعدادًا للمغادرة. يرن الهاتف. يجيب الطبيب.

الطبيب – نعم، أيها الرقيب... شكرًا لإبلاغي...يغلق الهاتف. المتظاهرون يقتحمون القصر. سنضطر قريبًا إلى الإجابة عن أفعالنا...

الكاهن – ليكن الله في عوننا...

يخرج الطبيب مسدسًا من درج ويضعه فوق المكتب.

الطبيب – ساعد نفسك... تساعدك السماء.

الكاهن – ضد من تنوي استخدام هذا السلاح، سيدي النقيب؟ ضد رفاق الأمس، أم ضد أصدقاء اليوم الذين لا يعتبرونك، على الأرجح، واحدًا منهم؟

الطبيب – سنرى يا أبتِ. الآن علينا أن ننقذ جلدنا. لا نبقَ هنا...

ينهضان للمغادرة.

إظلام.

النهاية

عن المؤلف

وُلد جان بيير مارتينيز عام1955 في أوفير سور واز (فرنسا). وهو كاتب مسرحي وسيناريست فرنسي، ألّف أكثر من120 مسرحية كوميدية معاصرة. تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات، وعُرضت مسرحياته في فرنسا وفي بلدان عديدة حول العالم.

يجمع مسرحه بين الكوميديا والعبث والسخرية الاجتماعية والكوميديا السوداء، من خلال مواقف يومية تنقلب تدريجيًا إلى أحداث غير متوقعة.

يمكن للفرق المسرحية الهاوية والمحترفة التي تبحث عن نصوص لعرضها تنزيل مسرحيات جان بيير مارتينيز مجانًا من موقعيه:

https://jeanpierremartinez.net

https://comediatheque.net

لكن حقوق العرض، التي تمثل تعويضًا عادلًا عن عمل المؤلف، تُعد التزامًا قانونيًا. وسواء كنتم فرقة هاوية أم محترفة، يجب عليكم طلب إذن بعرض المسرحية ودفع حقوق المؤلف المستحقة عن الإنتاج.

تمثّل الجمعية الفرنسية للمؤلفين والملحنين الدراميين (SACD) جان بيير مارتينيز.

للتواصل مع جان بيير مارتينيز وطلب الإذن بعرض أحد أعماله، يُرجى استخدام أحد نموذجي الاتصال التاليين:

https://comediatheque.net/contact-form

https://jeanpierremartinez.net/en/contact-2

هذا النص محمي بموجب قوانين حقوق المؤلف.
ويُعدّ أي انتهاك لحقوق المؤلف جريمة يعاقب عليها القانون.

وبموجب التشريع الفرنسي، قد تصل عقوبة انتهاك حقوق المؤلف إلى ثلاث سنوات من السجن وغرامة قدرها 300,000 يورو.

أفينيون – سبتمبر 2026

ISBN

978-2-38602-465-8

© La Comédiathèque

https://comediatheque.net

https://jeanpierremartinez.net

النص المسرحي متاح للتنزيل مجانًا